٨ وجوب العدل وفضله

الخُطْبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : موضوع خطبتنا في هذا اليوم المبارك بإذن الله عَزَّوَجَلَّ عن « **وجوب العدل وفضله** » .

وما أدراكم – أيها الناس – ما العدل؟، إنه قوام الدين والدنيا.

والعدل في الإسلام عظيم وثوابه عند الله كبير، لا تسعد أمة ولا يستقيم حالها إلا بالعدل، ولا يجتمع شملها وينتظم عقدها إلا بالعدل حتى قيل: إن الله ينصر الدولة الكافرة العادلة على الدولة المسلمة الظالمة»[١].

معاشر المسلمين : لقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالعدل في جميع الأحوال والأفعال والأحكام.

والمراد بالعدل في اللغة: القسط والإنصاف وعدم الجور.

والمراد بالعدل في الشرع : التوسط بين المرتبتين.[٢]

والمراد بالمرتبتين (الإفراط والتفريط).

يقول الإمام الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العدل الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط .[٣]

ويقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه ، من غير إفراط ولا تفريط .[٤]

وما أجمل ما عرف ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العدل بقوله ، العدل : هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع ، وسير مع الناس في أداء الأمانات ، وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق .[٥]

إخوة الإيمان ، إن أرفع أنواع العدل ، وأفضلها ، وأوجبها هو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وهو « إفراد الله بالعبادة » ، وذلك هو العدل بعينه.

---

(١) الاستقامة لابن تيمية ج٢(٢٤٧).
(٢) أضواء البيان للشنقيطي ج٣(٣١٧).
(٣) التعريفات للجرجاني ص (١٩٢).
(٤) الفتح ج٢(٣٦٣).
(٥) التحرير الوجيز ج٨(٤٩٤).

وإن العدل هو وضع الشيء في موضعه ، وما يليق به فإذا صرف العبد شيئًا من أنواع العبادة لغير الله ، وتعلق قلبه بغير خالقه وبارئه ، فقد ارتكب أعظم الظلم ، وعدل عن الحق ، ووقع في الشرك والجور كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام : ١) ، أي : يعدلون به سواه ويساوونه بغيره ، لذلك يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ قال : العدل لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض.[١]

أقسام العدل : والعدل يقول ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ : فالعدل بين العبد وربه إيثار حق الله على حظ نفسه ، وتقديم رضاه على هواه ، والاجتناب للزواجر والامتثال للأوامر.

وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها عما فيه هلاكها ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾(النازعات:٤٠) ، وعزوب الأطماع عند الاتباع ولزوم القناعة في كل حال ومعنى.

وأما بينه وبين الخلق فببذل النصيحة ، وترك الخيانة فيما قل وكثر والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه ولا يكون منك إلى أحد مساءة بقول ولا فعل لا في سر ، ولا في علن ، حتى بالهم والعزم والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى ، وأقل ذلك الإنصاف من نفسك وترك الأذى.[٢]

عباد الله : لقد وردت آيات كثيرة ونصوص عظيمة في وجوب العدل، وبيان فضله ، قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحل : ٩٠) ،قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

(١) أضواء البيان ج٣(٣١٨).
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج٣(١١٧٢).

وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ ، قال العدل الإنصاف. والإحسان: التفضل.[١]

وهنا جمع الله بين الأمر بالعدل والإحسان والتفضل بالإحسان ، وهذا كثير في القرآن الكريم قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ ، فهذا عدل ، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ (النحل : ١٢٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ ، فهذا عدل ، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الشورى : ٤٠).

وقال عز شأنه: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ ، فهذا عدل ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله: ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ ﴾ (المائدة :٤٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ ، فهذا عدل ، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الشورى : ٤١-٤٢).

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾، فهذا عدل ، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (النساء : ١٤٨ - ١٤٩).[٢]

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ

(١) أضواء البيان ج٣(٣١٨).
(٢) أضواء البيان ج٣(٣١٧).

﴿١٩٤﴾ ﴾، فهذا دل، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٤).

ومن الآيات الدالة على وجوب العدل ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء : ٥٨).

وهذه الآية الكريمة إنما نزلت في الأمراء والحكام بين الناس كما قال محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم وغيرهما من السلف.[١]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ ، وإن من أعظم أداء الأمانات الحكم بما أنزل الله ، ففي صحيح البخاري [٢]: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ ، فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال . وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين – أراه – السائل عن الساعة**» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**» .

وفي المُسند[٣]: عن ابن نيار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**لا تذهب الدنيا حتى تكون للكع ابن لكع**»قيل المتهم بن المتهم ، وقيل اللئيم ، وقيل الوسخ ، وقيل الأحمق : وقيل خبيث الفعال الشحيح قليل الخير .[٤]

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢(١٤٥- ١٤٦).
(٢) البخاري برقم (٥٩).
(٣) مُسند أحمد برقم (١٥٨٣١) وصححه الشيخ شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٤) الصحيح المُسند في الفتن ص(٣٩٩) للشيخ مصطفى العدوي حفظه الله .

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ الحديد : ٢٥) أي : العدل.

وقال تعالى :﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات : ٩) ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ (الشورى : ١٥).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء : ١٣٥).

فيجب العدل حتى مع الأعداء ، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ أي : ولا يحملنكم ﴿ شَنَآنُ ﴾ أي: بُغض ، ﴿ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٨).

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه[١].

أيها الأخوة في الله : العدل عزيز وعزُ والله لصاحبه في الدنيا والآخرة، وانظروا إلى عدل علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى مع أعدائه ، وذلك حينما

(١) السير ج٨(٤٢٧).

سُئل عن الخوارج أمشركون هم؟، قال : «**من الشرك فروا**»، قيل: منافقون هم؟ قال: «**إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا**»، قيل: فما هم؟، قال: «**إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم ببغيهم**» (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (ص : ٢٦).

والإمام العادل: هو العادل في نفسه العادل في حكمه ، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الحج : ٤١).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور : ٥٥).

فيا إخوة الإيمان ، الزموا العدل في أقوالكم وأفعالكم وأحكامكم ، واعدلوا بين أولادكم ، قال النبي ﷺ : « **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** » ، رواه البخاري ومسلم (٢).

واعدلوا بين زوجاتكم ، فإن الله قد أباح التعدد في الزوجات بشرط التزام العدل ، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في كتابه العظيم (تعظيم قدر الصلاة) برقم (٥٩)، وسنده صحيح ، وأخرجه البغوي في شرح السُّنَّة للبغوي ج١٠(٢٣٥) .

(٢) البخاري برقم (٢٥٨٧) ومسلم برقم (١٦٢٣) من حديث النعمان بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ (النساء : ٣).

وقد حذر الله الزوج من المبالغة في الميل إلى واحدة من النساء ، دون بقية نسائه إن كان متزوجًا بأكثر من واحدة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (النساء : ١٢٩).

والمعلقة: هي التي لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة.

وفي سُنن أبي داود وغيره [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل**» .

نسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا العدل في أقوالنا وأفعالنا وأحكامنا كلها ، وأن يصلح المسلمين ويمنحهم الفقه في الدين ، اللهم أصلح الراعي والرعية إنك على كل شيء قدير.

(١) صحيح أبي داود برقم (٢١٣٣) وصححه العلامة الألباني في صحيح أبي داود.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون، إن من الأمور العظيمة التي يجب العناية بها، والعدل فيها.

والإنصاف في الحكم ، فقد روى الطبراني في الأوسط [١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ محسن يحب الإحسان**» .

فقد أمر رسول الله ﷺ في هذا الحديث المبارك بالعدل في الحكم ، فالواجب على الحكام والمسئولين أن يلازموا العدل في حكمهم وولايتهم.

والعادلون منزلتهم ، عند الله عظيمة فإنهم يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن .

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه [٢] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المقسطين عند الله ، أي : العادلين ، وأما المقسطون فإنهم الجائرون في حكمهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾(الجن : ١٥).

يقول النبي ﷺ : «**إن المقسطين عند الله ، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وكلتا يديه يمين،الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**».

---

(١) الأوسط للطبراني برقم (٥٧٣٥) وهو في الصحيحة للألباني برقم (٤٦٩).
(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧).

والإمام العادل يستجيب الله له دعاءه ففي شعب الإيمان للإمام البيهقي [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيرًا ، والمظلوم ، والإمام المقسط**» .

والإمام العادل يظله الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ففي الصحيحين[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ ، قال: « **سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل**.....» إلخ.

وقد قال بعض السلف : إمام عادل خير من مطر وابل ، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم. [٣]

عباد الله : إقامة الحدود خير من نزول الأمطار ، ففي سُنن ابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**حد يعمل به في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحًا** » [٤] .

والإمام العادل إذا عدل في رعيته يكون من أهل الجنة ، كما جاء في صحيح مسلم [٥] عن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ قال : « **وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال** » .

معاشر المسلمين : وعيد الله شديد وعذابه عظيم للأئمة الجائرين الذين يظلمون العباد ، ويسعون في الأرض بالفساد ، فقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما ، عن معقل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ

(١) الشعب برقم (٥٨٢) الصحيحة برقم (١٢١١) صحيح الجامع برقم (٣٠٦٤).
(٢) البخاري برقم (٦٨٠٦) ومسلم برقم (١٠٣١).
(٣) ترطيب الأفواه للعفاني ج١(٩٣).
(٤) صحيح ابن ماجه برقم (٢٠٥٧) وجاء الحديث عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا.
(٥) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧).

يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة**» ، وهذا لفظ مسلم[١] وفي رواية : « **فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة** » .

وأخبر نبينا ﷺ أن الأمراء الظلمة يُمنعون يوم القيامة من الورود على حوضه ﷺ .

ففي مُسند الإمام أحمد [٢] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء**» قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «**أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم، فصدقهم بحديثهم، وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني، ولست منهم، ولم يردوا علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بحديثهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني، وأنا منهم، وأولئك يردون علي الحوض. يا كعب بن عجرة، الصلاة قربان، والصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار. يا كعب بن عجرة، لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت، النار أولى به ، يا كعب بن عجرة، الناس غاديان، فغاد بائع نفسه، وموبق رقبته، وغاد مبتاع نفسه، ومعتق رقبته** » .

وإذا احتجب الإمام عن رعيته احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة ، ففي سُنن أبي داود [٣] عن أبي مريم الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ولاه الله** عَزَّوَجَلَّ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٨) ومسلم برقم (١٤٢).
(٢) أحمد برقم (١٤٤٤١) وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في الجامع الصحيح ج٤(٥٢٢).
(٣) سُنن أبي داود برقم (٢٩٤٨) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

شيئًا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم، وخلتهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته، وفقره» قال: فجعل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا على حوائج الناس.

وفي لفظ قال : «**ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة، والخلة، والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته، وحاجته، ومسكنته**» [١] .

والله لا يحب الإمام الظالم الجائر ، فقد روى النسائي في سُننه[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعة يبغضهم الله : البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني والإمام الجائر**» .

ويجب على الإمام أن يتفقد أحوال رعيته ويحسن إليهم ، ويجتهد في إيصال الخير إليهم ، ويرفق بهم فقد روى الإمام مسلم في صحيحه[٣] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت سمعت من رسول الله ﷺ ، يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به**» .

ولقد خاف رسول الله ﷺ على أمته من بيع الحكم ، ففي معجم الطبراني [٤] عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال : «**أخاف عليكم ستا: إمارة السفهاء وسفك الدم وبيع الحكم وقطيعة الرحم ونشوًا ، يتخذون القرآن مزامير ، وكثرة الشرط**» .

---

(١)أحمد برقم (١٨٠٣٣) وسُنن الترمذي برقم (١٣٣٢) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) النسائي في السُنن ج٥(٨٦) والصحيحة برقم (٣٦٣).

(٣) مسلم برقم (١٨٢٨).

(٤) الطبراني برقم (١٠٥) الصحيحة برقم (٩٧٩).

وقد ثبت عند الإمام الدارمي [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة، مغلولة يداه إلى عنقه، أطلقه الحق أو أوبقه**» .

لكل ولاية لا بد عدل وصرف الدهر عقد ثم حل

وأحسن سيرة تبقى لوال مدى الأيام إحسانٌ وعدل

اللهم أصلحنا وأصلح ولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك ، يا أرحم الراحمين.

(١) سُنن الدارمي ج٢(٢٤٠) وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع الصحيح ج٤ (٥٣٣).